مدح المسلم وما يكره منه

ما وقع بين رجل من بني ليث وبين النبي عليه السلام

أخرج الطبراني عن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ من بني ليث إلى النبي ﷺ فقال: **يا رسولَ الله أَنْشِدُكَ ـ قالها ثلاث مرات ـ فأنشده الرابعة مديحه له، فقال رسول الله ﷺ: «إِنْ كانَ أَحَدٌ مِنَ الشُّعَرَاءِ يُحْسِنُ فَقَدْ أَحْسَنْتَ»**؛ قال الهيثمي (٨/ ١١٩): وفيه راو لم يُسَمَّ، وعطاء بن السائب اختلط.

مدح أسامة بن زيد لخلاّد بن السائب

وأخرج الطبراني عن خلاّد بن السائب رضي الله عنه قال: **دخلتُ على أسامة بن زيد فمدحتي في وجهي وقال: إنه حملني على أن أمْدَحَكَ في وجهك، أني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إذا مُدِحَ المؤمنُ في وجهه رَبَا[1] الإيمانُ في قَلْبِهِ»**. قال الهيثمي (٨/ ١١٩): وفيه ابن لَهيعة وبقية رجاله وُثّقوا.

قوله عليه السلام لمن بالغ في مدحه

وأخرج أبو داود عن مُطرِّف قال: قال أبي: **انطلقتُ في وفد بني عامر إلى النبي ﷺ فقلنا: أنتَ سَيِّدُنا، فقال: «السَّيِّدُ اللَّهُ»، قلنا: وأفضلُنا فضلاً وأعظمُنا طَوْلاً[2]، فقال: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ وَلاَ يَسْتَجْرِيَنَّكُمْ[3] الشَّيْطَانُ»** ورواه رَزِين نحوه عن أنس رضي الله عنه وزاد في آخره: **«إِنِّي لا أُرِيدُ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي التي أَنْزَلَنِيها اللَّهُ تعالى، أنا محمدُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»**. كذا في جمع الفوائد (٢/ ١٥٠). وعند ابن النجّار عن أنس رضي الله عنه: أنّ رجلاً قال للنبيِّ ﷺ: **يا خَيْرَنا وابنَ خيرنا، وسَيِّدَنا وابن سيّدنا؛ فقال النبيُّ ﷺ: «قُولُوا ما أقولُ لَكُمْ وَلا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ[4] الشَّيطَانُ، أَنْزِلُوني حَيثُ أَنْزَلَني اللَّهُ، أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»**. كذا في الكنز (٢/ ١٨٢). وأخرجه أحمد عن أنس نحوه، كما في البداية (٦/ ٤٤).

---

(١) «ربا»: زاد «مختار».

(٢) طولاً: عطاءً.

(٣) لا يستجرينكم: أي لا يستغلبنكم فيتخذكم جرياً: أي رسولاً ووكيلاً، وذلك أنهم كانوا مدحوه فكره مبالغتهم فيه. يريد تكلموا بما يحضركم من القول ولا تتكلفوه كأنكم وكلاء الشيطان ورسله تنطقون عن لسانه.

(٤) «لا يستهوينكم»: لا يذهب بكم ولا يستميلكم.

قوله عليه السلام لمن مدح رجلاً في وجهه وهديه في ذلك

وأخرج الشيخان وأبو داود عن أبي بَكْرة رضي الله عنه قال: أثنى رجلٌ على رجل عند النبيِّ ﷺ فقال: «وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ!» ـ ثلاثاً ـ، ثم قال: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مادِحاً أخاه لا مَحالَةَ فَلْيَقُلْ: أحسبُ فُلاناً ـ واللَّهُ حَسِيبُهُ[1] ـ، ولا يزكّي على الله أحداً، أحسب كذا وكذا، إن كان يعلم ذلك منه». كذا في جمع الفوائد (٢/ ١٥٠).

وعند البخاري أيضاً عن أبي موسى رضي الله عنه قال: سمعَ النبيُّ ﷺ رجلاً يثني على رجل ويُطْرِيهِ[2] في المِدْحَةِ فقال: «أَهْلَكْتُم ـ أو: قَطَعْتُمْ ـ ظَهْرَ الرَّجُلِ». وأخرجه ابن جرير مثله، كما في الكنز (٢/ ١٨٢).

قصة محجن الأسلمي[3] في هذا الأمر

وأخرج البخاري في الأدب المفرد (ص ٥١) عن رجاء بن أبي رجاء عن مِحْجن الأسلميّ رضي الله عنه، قال رجاء: أقبلتُ مع مِحْجَن ذاتَ يوم حتى انتهينا إلى مسجد أهل البصرة فإذا بُرَيْدَة الأسلميّ رضي الله عنه على باب من أبواب المسجد جالس، قال: وكان في المسجد رجلٌ يقالُ له سَكَبة[4] يُطيلُ الصلاة، فلمّا انتهينا إلى باب المسجد وعليه بردة وكان بُرَيدة صاحب مزاحات، فقال: يا محجن أتصلّي كما يصلي سكبة؟ فلم يردّ عليه مِحْجَن ورجع، قال قال مِحجن: إنّ رسولَ الله ﷺ أخذ بيدي فانطلقنا نمشي حتى صعدنا أُحُداً، فأشرفَ على المدينة فقال: «وَيْلٌ أمِّها مِنْ قَرْيَةٍ يَتْرُكُها أَهْلُها كأَعْمَرِ ما تَكُونُ، يأْتِيها الدَّجّالُ فَيَجِدُ عَلى كُلِّ بابٍ مِنْ أَبْوابِها مَلَكاً فَلا يَدْخُلُها» ثم انحدر حتى إذا كنا في المسجد رأى رسول الله ﷺ رجلاً يصلّي ويسجد ويركع، فقال لي رسول الله ﷺ: «من هذا؟» فأخذت أُطْرِيهِ فقلتُ يا رسول الله هذا فلان وهذا فلان، فقال: «أَمْسِكْ، لا تُسْمِعْهُ فَتُهْلِكَهُ» قال: فانطلق يمشي حتى إذا كان عند حُجره لكنه نفض يديه ثم قال: «إنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ، إنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ» ثلاثاً.

---

(١) «حسيبه»: محاسبه.

(٢) «يطريه»: يبالغ في مدحه.

(٣) «هو محجن بن الأدرع الأسلمي»، قديم الإسلام، قال فيه رسول الله ﷺ: ارموا وأنا مع ابن الأدرع. سكن البصرة واختطّ مسجدها وعمّر طويلاً، ثمّ انتقل إلى المدينة وتوفّي فيها آخر أيام معاوية. «أسد الغابة» (٥/ ٧٠).

(٤) هو سكبة بن الحارث الأسلمي، له صحبة «أسد الغابة» (٢/ ٤١٢).

وأخرجه الإمام أحمد (٥/ ٣٢) عن رجاء بطوله نحوه إلا أنّ في روايته قال: **فأخذتُ أُطْرِيهِ له، قال قلت: يا رسولَ الله هذا فلان وهذا وهذا، قال: «اسْكُتْ، لا تُسْمِعْهُ فَتَهْلِكَهُ»** قال: ثم انطلق يمشي حتى إذا كنّا عند حجره لكنه رفض يدي ثم قال: **«إنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ، إنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ»**.

وأخرجه أحمد أيضاً من طريق عبد الله بن شقيق عن مججن رضي الله عنه وفي روايته قال: **قلت: يا نبيّ الله! هذا فلان وهذا من أحسن أهل المدينة ـ أو قال: أكثر أهل المدينة ـ صلاة، قال: «لا تُسْمِعْهُ فَتَهْلِكَهُ ـ مرتين أو ثلاثاً ـ إنَّكُمْ أُمَّةٌ أُرِيدَ بِكُمُ الْيُسْرُ»**. وأخرجه ابن جرير والطبراني مختصراً، كما في كنز العمال (٢/ ١٨٢).

غضب عمر رضي الله عنه على مدح المسلم

وأخرج ابن أبي شيبة والبخاري في الأدب عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: **كنا قعوداً عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فدخل عليه رجلٌ فسلّم عليه فأثنى عليه رجلٌ من القوم في وجهه فقال عمر: عَقَرتَ الرجل عَقَرَكَ الله**[1]**، تثني عليه في وجهه في دينه**، كذا في الكنز (٢/ ١٨٢). وعند ابن أبي الدنيا في الصمت عن الحسن: **أنَّ رجلاً أثنى على عمر رضي الله عنه فقال: تهلكني وتهلكُ نفسك!!** كذا في الكنز (٢/ ١٦٧).

قصة عمر رضي الله عنه مع الجارود

وأخرج ابن أبي الدنيا في الصمت عن الحسن قال: **كان عمر رضي الله عنه قاعداً ومعه الدِّرَّة والناس حوله إذ أقبل الجارود رضي الله عنه فقال رجلٌ: هذا سيّد ربيعة، فسمعه عمر ومن حوله وسمعه الجارود، فلما دنا منه خَفَقَهُ بالدِّرَّة، فقال: ما لي ولك يا أميرَ المؤمنين؟ فقال: ما لي ولَكَ؟ أما لقد سمعتها، قال: سمعتها فَمْه؟ قال: خشيتُ أن يخالطَ قلبَكَ منها شيء فأحببتُ أن أطأطىء منك**. كذا في الكنز (٢/ ١٦٧).

حثو المقداد الحصى والتراب في وجه المداحين

وأخرج مسلم (٢/ ٤١٤) واللفظ له وأبو داود (٥/ ٢٤١) عن هَمَّام بن الحارث: **أنَّ رجلاً جعل يمدح عثمان رضي الله عنه فعمد المقداد رضي الله عنه فجثى على ركبتيه ـ وكان رجلاً ضخماً ـ فجعل يَحْثُو**[2] **في وجهه الحصى، فقال له عثمان ما شأنُكَ؟ فقال: إنَّ رسول**

---

(١) «أي أصابك الله بعقر في جسدك». ظاهره الدعاء عليه وليس بدعاء في الحقيقة، وهو في مذهبهم معروف «النهاية» (٣/ ٢٧٣).

(٢) «يحثو»: يرمي «مختار» (ح ث ١).

الله ﷺ قال: «إِذَا رَأَيْتُمُ المدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ»[1] وأخرجه مسلم أيضاً والترمذي (٢/ ٦٢) والبخاري في الأدب (ص ٥٠) من طريق أبي مَعْمَر قال: قام رجلٌ يثني على أمير من الأمراء فجعل المقداد رضي الله عنه يحثي عليه التراب وقال: أمرَنا رسولُ الله ﷺ أن نحثي في وجوه المدّاحين[2] التراب!

عمل ابن عمر رضي الله عنهما وقوله في هذا الأمر

وأخرج البخاري في الأدب (ص ٥١) عن عطاء بن أبي رباح: أنّ رجلاً كان يمدح رجلاً عند ابن عمر رضي الله عنهما فجعل ابن عمر يحثو التراب نحو فيه وقال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رَأَيْتُمُ المدَّاحِينَ فاحْثُوا في وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ». وعند أحمد والطبراني عن عطاء ابن أبي رباح قال: كان رجلٌ يمدح ابن عمر رضي الله عنهما يقول: هكذا يحثو في وجهه التراب، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا رَأَيْتُمُ المَدَّاحِينَ فاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ»! قال الهيثمي (٨/ ١١٧): رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح ـ اهـ.

وعند أبي نعيم في الحلية (١/ ٣٠٧) عن نافع رضي الله عنه وغيره: أن رجلاً قال لابن عمر رضي الله عنهما: يا خيرَ الناس ـ أو: يا ابنَ خيرِ الناس ـ فقال ابن عمر، ما أنا بخير الناس ولا ابن خير الناس ولكني عبدٌ من عبادِ الله أرجو الله تعالى وأخافه، واللهِ! لن تزالوا بالرَّجُلِ حتى تُهْلِكُوهُ. وأخرج الطبراني عن طارق بن شهاب قال: قال عبد الله: إنَّ الرجل لَيَخْرُجُ ومعه دينه فيرجع وما معه شيءٌ منه، يأتي الرجل لا يملك له ولا لنفسه ضرّاً ولا نفعاً فيقسم له بالله: لأنتَ وأنتَ! فيرجع ما حلَّ من حاجته بشيء وقد أسخط الله عليه. قال الهيثمي (٨/ ١١٨): رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح.

صلة الرحم وقطعه

قصته عليه السلام مع أبي طالب في هذا الأمر

أخرج البزّار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أصابت قريشاً أزمةٌ شديدة حتى

---

(١) أي ارموا، يريد به الخيبة، وألا يعطوا عليه شيئاً، ومنهم من يجريه على ظاهره فيرمي فيها التراب «النهاية» (١/ ٢٣٩).

(٢) «أراد بالمدّاحين هنا الذين اتخذوا مدح الناس عادة وجعلوه صناعة يستأكلون به الممدوح، فأمّا من مدح على الفعل الحسن والأمر المحمود ترغيباً في أمثاله وتحريضاً للناس على الاقتداء به في أشباهه فليس بمدّاح، وإن كان قد صار مادحاً بما تكلم به من جميل القول. «النهاية» (١/ ١٨٤).